



رؤوف عباس حامد والقضية القبطية (1939-2008م)

الجمعة ٧ يونيو ٢٠١٣

د. ماجد عزت إسرائيل

رؤوف عباس حامد هو مفكر ومؤرخ مصري عربي، متميز عميق الانتماء إلى الوطنية المصرية والعروبة والحضارات في شتى بلدان العالم، ولذا سعى في حياته لتقارب الحضارات، وأندماجها من خلال دراساته وأبحاثه أو زيارته للبعض منها، أو من خلال تشجيعه طلابه بتسجيل الرسائل العلمية حولها، ولكن ظلت حضارة مصر وتراثها الثقافي، وشعبها هم الشغل الشغل في حياته، وكان يدرك أن أقباط مصر هم جزء لا يتجزأ من شعبها الأصيل و حضاراتها العريقة.

ورؤوف عباس حامد ولد في 24 أغسطس 1939م، في مدينة بورسعيد الباسلة، ثم أنتقل مع والده إلى مدينة القاهرة فالتحق في الرابعة من عمره بكتاب يُعرف باسم "مدرسة الفتوح الجديدة الأولية" "ب-شبرا"، ثم التحق في المرحلة الابتدائية بمدرسة السيدة "حنيفة السلحدار"، واستكمل دراساته بالمرحلة الإعدادية بذات المدرسة (1952-1953م)، ثم حصل على الثانوية العامة من "شبرا الثانوية" عام 1957م، وتخرج في كلية الآداب جامعة "عين شمس" عام 1961م، وحصل على درجة الماجستير عام 1966م، وكانت أطروحته "تاريخ الحركة العمالية المصرية 1899-1952م"، وحصل على الدكتوراه في عام 1971م، وكانت أطروحته "الملكيات الزراعية الكبيرة في مصر" وعين في كلية الآداب جامعة القاهرة، وتدرج في السلم التدريسي الوظيفي، حتى حصل على منصب أستاذاً في عام 1981م، ثم رئيساً لقسم التاريخ، ثم وكالة الكلية لشئون الدراسات العليا، وعند وفاته في 26 يونيو 2008م، كان يشغل منصب رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ما بين عامي (1999-2008م).

كان لنشأة رؤوف عباس حامد في حى شبرا - كلمة شبرا تعنى باللغة القبطية العزبة أو القرية، وهى تقع شمال مدينة القاهرة، وزادت شهرتها ببناء محمد على باشا (1805-1809م) قصره الشهير، وبها العديد من المناطق الأثرية مثل الخازندار، ومارجرجس الجبوشى، وسانت تريزا، وغالبية سكنها من الأقباط - تأثير كبير على علاقاته وإدراكه بالقضية القبطية، ففى حى شبرا نشأ كطفل وألتحق بمدارسها وتصادق ولعب، ودخل كنيستها مع بعض زملائه من الأقباط، دون أدنى تمييز طائفى أو تفرقه، فمن خلال احتكاكه المباشر مع العديد من الأقباط عرف العديد عن مشاكلهم وقضاياهم بمصر، ولذا سعى من خلال وظيفته بالجامعة إلى الفك العديد من شفرات المسألة القبطية، لأيمانه الشديد بحقوق المواطنة المصرية دون تمييز أو تفرقه.

على أية حال، سعى رؤوف عباس كمؤرخ وأستاذ بالجامعة على وضع حلول للقضايا القبطية عن طريق البحث العلمى، من أجل أن يتقبل الآخر شريكه فى الوطن دون تمييز أو عنصرية، من خلال تخريج طلاب من الجامعة يؤمنون بحقوق المواطنة ومبدأ المساواة بين جميع الأفراد، دون تفرقة عرقية أو دينية، ففى مجال الدراسات القبطية بالجامعة المصرية، لا يوجد كرسى (قسم) لها، مع العلم أن شتى جامعات العالم يوجد بها أقسام وفروع لدراسة اللغة القبطية وتراثها الثقافى، فسعى رؤوف عباس بتوجيه أحد طلابه "محمد عفيفى عبد الخالق" - حالياً رئيس قسم التاريخ بجامعة القاهرة - بتسجيل أطروحته للدكتوراه حول القضية القبطية تحت اسم "الأقباط فى العصر العثمانى"، وهذه الدراسة تعد من بين الدراسات الفريدة، التى تضع حلول علمية لمشاكل الأقباط وعلاقاتهم بالسلطة الحاكمة، كما أن كاتب هذه السطور شجعه على "دراسة الأقباط والحياة الاقتصادية والثقافية".

وكان لرؤوف عباس مواقف وطنية من القضية القبطية يسجلها لنا التاريخ نذكر بعض منها، ففى مقاله بجريدة "الأهالى" بتاريخ 10 نوفمبر 1993 م، تحت عنوان خطاب مفتوح إلى وزير التعليم "حسين كامل بهاء الدين" "حذار إنهم يتلاعبون بمستقبل الوطن ويشكون فى أمانة الأقباط بالجامعة" فذكر قائلًا "المسألة التى أكتب لك عنها تتعلق باتجاه فى وزارتك يمس سلامة هذا الوطن وأمنه ومستقبله، ويتصل بدور التعليم فى مصر، وما يقع على عاتقه من تأمين غدا أفضل للمصريين دون تمييز".

و خلاصة ما جاء في نص الخطاب الذى ارسله رءوف عباس حامد" اتصل بى صباح الخميس 28 أكتوبر 1993، أحد مستشارى الوزارة يدعونى إلى إعداد امتحان الثانوية العامة لمادة التاريخ، فاعتذرت، عن عدم قبول المهمة لظروفى الخاصة، فاقترح على ترشيح آخر، فرشحت الدكتور"يونان لبيب رزق" ولكن المستشار ضحك ضحكة صفراء ذات مغزى، وطلب منى ترشيح آخر، ولما سألته عن السبب قال" إن تعليمات الأمن تقضى بعدم إشراك (أهل الذمة) فى وضع الامتحانات العامة" وفى خاتمة خطابه عبر عن تأييده لحقوق المواطنين، وحرصه على سلامة وحدة هذا الوطن حيث ذكر قائلاً" لقد تابعت بإعجاب شديد، وتقدير عظيم مواقفك الجسور فى مواجهة من يريدون إعادة مصر إلى عصور التخلف، ويسعون لشق الصف الوطنى، بالعمل على تطهير التعليم منهم، ولكنى لا أخفى عليك مخاوفى من دلالات هذه الواقعة، وما تبشر به من سوء يهدد هذا الوطن".

وكان لرءوف عباس الفضل فى تعيين أول معيدة قبطية فى قسم التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة، تدعى"مرفت صبحى" - حالياً دكتورة بذات القسم - فقد اعترض بعض الأساتذة و على رأسهم الدكتور"حسنين ربيع" أستاذ تاريخ العصور الوسطى، بل الأدهش من ذلك قاموا بترشيح آخرين، رغم تفوق طالبة القبطية عليهم، وهذا ما دفع ب"رءوف عباس لتقديم استقالة مسببة إلى عميد الكلية "عبد العزيز حمودة"، ومن هنا سوف يتم التحقيق فيها ويظهر التعصب الدينى لدى هؤلاء وينفضح أمرهم فى الجامعة، وهذا ما ذكره "رءوف عباس فى مذكراته"مشيهاها خطى" قائلاً"هنا قرر صاحبنا أن يلقن العميد دراساً قاسياً، فكتب على الفور خطاب استقالته تحت عنوان، التعصب وراء ستار الصالح العام من خدمة جامعة، ، دينها التعصب الأعمى، و مبدأها التمييز بين المصريين على أساس الدين".

كما ذكر رءوف عباس فى مذكراته"مشيهاها خطى، أن التعصب الأعمى والعنصرية الدينية، كانت السبب فى تخلص قسم التاريخ عام 1944م، من الدكتور"سوربال عطية"أستاذ تاريخ العصور الوسطى بنقله لجامعة الإسكندرية، ثم هجرته بعد ذلك إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وتفوقه وإنشائه مركزاً للدراسات القبطية بولاية يوتا، وهذا ما ذكره الدكتور "حسنين ربيع" وكتبه بأمانه ووطنية رءوف عباس فى مذكراته قائلاً"إن القسم تخلص من هؤلاء - يقصد الأقباط - منذ أكثر من خمسين عاماً، فلا يجب عودتهم مرة أخرى..".

وأخيراً، كان رءوف عباس يؤمن كل الأيمان بالقضية القبطية، ويضعها فى مقدمه أعماله وتصرفاته فى الحياة اليومية، و كان إنسانياً عميق الالتزام بقضايا وثقافة وطنه، ودائماً ما كان يسعى لتحقيق العدالة الغائبة لأقباط مصر، وخاصة فى مجال عمله بقدر ما يمتلك، وبعد خمس أعوام على رحليه، هل تجد القضية القبطية من ينصفها؟

<http://www.copts-united.com/Article.php?I=1561&A=97656>